مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies) ج وهران2/ المجلد 10 ع 01 / 16 /01/ 2021
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

عودة الدين إلى الفضاء العام قراءة في آراء هابرماس

The return of religion to public space is a reading of Habermas's views

بديار محمود * Beddiar Mahmoud mahmoud.20beddiar@gmail.com	فلسفة	مختبر : الأنساق،البنيات ،النماذج / الكلية: العلوم الاجتماعية / الجامعة :وهران2/ البلد :الجزائر
إشراف : الدكتورة محمدي رياحي رشيدة أستاذ التعليم العالي rachidariahi@yahoo.fr	فلسفة	مختبر: فلسفة علوم وتنمية بالجزائر / الكلية :العلوم الاجتماعية / الجامعة : وهران2/ البلد : الجزائر

DOI : 10.46315/1714-010-001-011

الإرسال: 2020/02/11 **القبول**: 2020/05/30 **النشر**: 2021/01/16

ملخص: تهدف دراستنا هذه إلى محاولة فهم تلك المسألة المتعلقة بالصراع الذي وقع بين الدين والعلمانية داخل المجتمعات الغربية وما نتج عنه من تشوه في الحوار والتواصل بينهما، فالأول الذي يعاني الإقصاء والإهمال منذ الثورة عليه في عصور النهضة وفق منطلقات الثورة الفرنسية والثاني الذي يمثل لنا العلمانية وهو يمثل في الوقت الحالي الأصولي الذي يمثلك الحقيقة ويمثل التحضر والتحديث وقد كان هذا الأخير قد حقق هيمنة على جميع الأصعدة وفق منطلقات الحداثة التي أعطت الأولوية للعقل ،إلا أن الثقة العمياء في الأخير كانت نتائجها وخيمة على المجتمعات الغربية التي أصبحت مادية وغاب فيه الجانب الديني ،خاصة داخل الفضاء العام الذي تتشكل فيه الحوارات التي تهدف لمصلحة المجتمع وأمام هذا الإهمال الذي بلغ حدودا قصوى للجانب الديني تعالت أصوات تنادي بضرورة عودة الدين إلى المجتمعات الغربية خاصة داخل المجال العام وهو ما فتح نوعا من التشويش على الجانب العلماني ووقعت أزمة حوار وتواصل بين العلمانيين والمتدينين وهنا نستحضر إسهامات الفيلسوف الألماني يورغن هابر ماس لمحاولة تطبيع علاقة تلاحم بين المتدينين والعلمانيين وفتح سبل التحاور والتسامح وهذا من خلال مقترحه المجتمع ما بعد علماني .

الكلمات المفتاحية: الدين ،العلمانية ،المجال العام ،الحوار ،مجتمع ما بعد العلمانية ،هابرماس.

Abstract: This study aims to try to understand this issue related to the conflict between religion and secularism in Western societies and the resulting distortion in dialogue and communication between them, the first suffering from exclusion and neglect since the revolution in the Renaissance according to the starting points of the French Revolution and the second represents us secularism It represents the fundamentalist who represents you the truth and represents the urbanization and modernization. The latter has achieved dominance at all levels in accordance with the premise of modernity, which gave priority to the mind, but the blind faith in the latter has had dire consequences for Western societies The metaphysical aspect of transcendence was absent, especially within the public space, in which constructive dialogues are formed for

* - المرسل الباحث: mahmoud.20beddiar@gmail.com

the benefit of society. In the face of this negligence, which reached the extremes of the religious side, voices were voiced calling for the return of religion to Western societies, especially within the public sphere. Confusion on the secular side There was a crisis of dialogue and communication between the secular and religious Here we recall the contributions of the German philosopher Jürgen Habermas to try to normalize the relationship of cohesion between religious and secular and open ways of dialogue and tolerance for the public interest and this through his pain The post-secular Alma met.

Keywords : religion, secularism, public sphere, dialogue, Habermas, post-secular society.

مقدمة : في الوقت الذي أحكمت فيه الحداثة قبضتها على المجتمعات الغربية بفعل التقنية وتنصيب العلمانية الرامية إلى علمنة العالم ونزع السحر عنه عملا بمقولة ماكس فيبر"نزع السحر عن العالم"،لتصبح بذلك العلمانية سبيلا جديدا يلجأ إليه في تسيير شؤون المجتمعات الغربية وكذا حلا للمشكلات الحياتية المختلفة ومن ثمة الإعلان الرسمي عن زوال الدين ،ولكن على وقع تراتبات الحداثة في جوانبها السلبية خاصة ظهور التطرف ومصطلح الأصولية والعنف والإرهاب في العالم ، عجلت بانفجار توتر حاد بين ما هو علماني وما هو ديني بين ما ليقصر لقيصر وما لله لله في ظل هذا الصراع داخل المجتمعات الغربية بعبارة أدق بين الدين والعلمانية أصبحت الضرورة ملحة لمحاولة إقامة أرضية للتعايش السلمي بين المتدينين والعلمانيين ،وهنا نستحضر في مقالنا محاولات الفيلسوف الألماني يورغن هابر ماس خاصة في أعماله الأخيرة التي أولت اهتماما كبيرا للدين وضرورة العودة له ،وتهدف محاولة هابر ماس لحل مسألة التواصل بين الفهم العلماني والفهم الديني وذلك من خلال نظريته "مجتمع ما بعد العلمانية ومن هذا التقديم نطرح الإشكال التالي:

ما هو مجتمع ما بعد العلمانية ؟ ثم إلى أي حد استطاع يورغن هابرماس من خلال نظريته إنهاء معضلة التواصل بين العلماني والديني ؟

في مفهوم الدين والعلمانية :

أ- الدين: إن اختلاف المعتقدات الدينية في العالم يجعل الإجماع على وضع مفهوم واحد للدين ضربا من المستحيل وهذا نظرا لأن كل ديانة لها معتقداتها الخاصة وكذا نظرتها للدين فإذا عرفنا الدين مثلا وفق الديانات السماوية الثلاثة (الإسلامية ،اليهودية المسيحية) لقلنا بأن الدين هو تعبير عن بعض القيم والشعائر الدينية "نحوى الله الخالق للوجود ونحوى الجماعة والناس،"(القرضاوي يوسف ،2007،ص 11) ويمكننا أيضا القول بأن لفظة دين تتداخل مع لفظة "الملة والمذهب " وكل هذه المصطلحات تتقاطع مع مصطلح شريعة الذي يمثل صفة التعالي والمقدس الذي يلجأ إليه الناس في وقت الضيق لحل مشاكلهم الحياتية وتفسير الظواهر المحيطة بهم لتصبح الشريعة مطاعة ويطلق عليها دينا ومن حيث هي

جامعة تصبح مذهبا ،وتدل على المذهب إذا أصبح مرجعا يهتدي له الناس(عزمي بشارة ،2013،ص 106-107).

ومن خلال هذا التعريف يتضح أن التدين وهو لفظ من مصدر "الدين" ظاهرة تلجأ لها جميع الشعوب عبر مر العصور لمحاولة فهم حقيقة الأشياء وكذا حل القضايا الاجتماعية حتى في وقتنا الراهن المتميز بالتطور العلمي والتكنولوجي لا يزال الدين يمثل لنا ذلك التعالي الذي نلجأ له في وقت الشدة وهذا ما يفسره عودة الدين إلى المجتمعات الغربية لملأ ذلك الفراغ الروحي الذي تركته العلمانية.

ب - **العلمانية** : على الرغم من الدراسات المتعددة حول موضوعة العلمانية إلا أن شبح الغموض مازال يكتنفها ،ولجلاء هذا الغموض كان لابد من اللجوء إلى استعادة النص التاريخي الذي يحكي لنا قصة العلمنة وفيما يلي محالة للإحاطة بالمصطلح والكيفية التي عولج بها من جانب مفكرين غربيين وهذا استنادا إلى اعتبارات التاريخ الغربي ،فالعلمانية في نظر المفكر الألماني لاري شاينر هي أفول الدين والتناغم وتحول المجتمع من قيود الدين وتحول المعتقدات والمؤسسات الدينية وسلخ القدسية عن العالم ،والسير من المجتمع القدسي إلى المجتمع العلماني.(عبد الرحمان ، ك ،2016،ص 322) ضمنيا نستخلص من هذا التعريف أن العلمانية ظهرت جليا في عصر التنوير الأوروبي الذي قام بثورة ضد شبح الكنيسة التي كانت تمارس سلطة القوة والاضطهاد على المجتمع الأوربي مستعملة الدين كوسيلة لتحقيق أهدافها ومن هنا ظهرت العلمانية التي انطلقت من شعار تبجيل العقل والعلم وتجاوز الماورئيات والعالم الأخروي والاهتمام بالدين.

والعلمانية في تصور عبد الله المسيري علمانيتين الأولى جزئية والمقصود بها فصل الدين عن الدولة والثانية تسمى العلمانية الشاملة لأن الفصل فيها لا يقتصر على الدولة بل يستغرق جميع مجالات وقيم الحياة الإنسانية أي لا يصبح للدين أي معنى في ظل العلمانية لحياة الإنسانية أي لا يصبح للدين أي معنى في ظل العلمانية الشاملة،(المسيري،ع ،ص16) فالعلمانية بهذا المعنى هي تجاوز لسلطة الدين والاعتماد على العلم في تفسير المشكلات الحياتية التي تواجه الإنسان ،ومن خلال ذلك تحولت العلمانية وبمساعدة تراكمات الحداثة الغربية إلى ميتافيزيقا تلهم الدولة والمجتمع والمؤسسات بفضل التكنولوجيا الحديثة وهنا أصبح الدين والإيمان بالماورئيات مجرد هلوسة تم تجاوزها وبالتالي وصلت العلمانية إلى ديار الآلهة وكسر تسلطها ،وأمام حتمية السيطرة العلمانية والحداثة الفائضة أصبح الدين من الماضي وفي التالي عرض للأقوال القائلة بزواله.

الفرضيات القائلة بزوال الدين: على ضوء ما ذكر آنفا جراء التكنولوجيات الحديثة والمد العلماني وتجسيدا لمقولة ماكس فيبر "نزع السحر عن العالم" والتي وجدت أرضية خصبة لتجسدها ظهرت فرضيات ناقدة للدين ونستحضر ذلك عند فلاسفة عصور التنوير والفلاسفة المعاصرين ونذكر أبرزهم :

1- **كارل ماركس (1818-1883):**تصوره للدين ينطلق من" فكرة بسيطة ولكنه طرحها بقوة ومفادها أن الموجودات الإنسانية اخترعت الدين لكي تهرب من ظروفها الاجتماعية وما إن نفهم ذلك حتى يتعين علينا أن نرفض الدين كملجأ للهروب . "هنا إشارة واضحة من ماركس يبين فيها أن الظاهرة الدينية ما هي إلا اختراع سيختفي وقد أعلن ماركس في إحدى مقولاته الشهيرة "أن الدين أفيون الشعوب " وهذا لكونه يرجئ السعادة والجزاء إلى الحياة الأخرى ويدعو الناس إلى القناعة والرضا بأوضاعهم في هذه الحياة ويؤدي إلى صرف الانتباه عن المظالم ووجود التفاوت وعدم المساواة في العالم.(أنتوني ، غ، ص 580) .

2- **دوركايم (1858-1917):** بعدما كان سعيه هو التأسيس لعلم اجتماع يؤسس لأخلاق قائمة على أسس وضعية ، فإنه اصطدم بظاهرة ملازمة للمجتمعات من العصور الغابرة بل منذ الإنسان الأول ويتعلق ذلك بالظاهرة الدينية حيث كان على دوركايم ضرورة الاهتمام بها وذلك لأهميتها ودورها في تماسك وتحقيق الانسجام داخل المجتمع وهذا لا يكون إلا من خلال الدين وذلك على أساس أن المجتمع ليس محصلة مجموع الأفراد الذين يحتلون مكانا معينا في ظل ظروف مادية معينة ،فالمجتمع هو قبل كل شيء مجموعة من الأفكار ، المعتقدات ،والمشاعر من كل نوع والتي تحقق من طرف الأفراد وفي المحل الأول من هذه الأفكار توجد فكرة الأخلاق المثالية والتي هي أساس المجتمع (دانيال ،ه، 2005 ، ص 202-203) ، ومن هنا وجب دراسة الدين باعتباره مصدرا لهذه الأخلاق المثال ،هذه الأخلاق التي لم تجد المجتمعات على اختلافها وعبر العصر التعبير عنها إلا تحت رحمة الطرح الديني ، وفي هذا يعتقد دوركايم " أن الدين هو شيء اجتماعي بدرجة كبيرة بل أن الدين أكثر بدائية من كافة الظواهر الاجتماعية ومنه خرجت تحولات متعاقبة كافة مظاهر الأنشطة الجماعية كالقانون والأخلاق ، والفن والأشكال السياسية وحتى القرابة كانت رباطا دينيا من حيث الجوهر ". (كابان، د ، 2010،ص 58).

إن دوركايم يشير من خلال هذه الاعتقاد إلى أن قيمنا الأخلاقية التي نسعى إلى تحقيها بصيغة وضعية فإنها استمدت شكلها الأول من الدين ، وبالتالي لا يمكننا الاستغناء عن الدين على الأقل في جوهره.

ماكس فيبر (1824-1920): لا يمكننا الحديث عن الظاهرة الدينية وتأثيرها على المجتمعات الغربية المعاصرة دون الوقوف عند أعمال ماكس فيبر صاحب مقولة " نوع السحر عن العلمنة"

وما أحدثه من تحولات حول نظرتهم للدين ،وأما بالنسبة لموقف صاحب المقولة من الدين فإنه يعطي أهمية كبيرة للدين ومساهمته في عملية التحديث التي دأبت عليها المجتمعات الغربية المعاصرة ،حيث يتحدث لنا فيبر على نوعين من الدين ،فالأول هو الدين السحري والثاني هو الدين الأخلاقي وهو الدين الذي يعول عليه فيبر في عقلنة المجتمعات الغربية بعد إضفاء الطابع الأخلاقي عليه وإزالة السحر عن العالم ،كما يربط ماكس فيبر الاتجاه الرأسمالي بالدين وتحديدا الديانة البروتستانتية حيث وجد فيبر في دراسته المعنونة بالأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية أن الكاثوليك هم الذين يحتلون النسبة الأكبر من حيث ميولهم إلى المهن اليدوية والبقاء في الريف ،في حين يبقى الأشخاص ممن يدينون بالديانة البروتستانتية لديهم الرغبة أكبر في ولوج المصانع بحيث يملئون طوابير العمال المتعلمين والموظفين الصناعيين ويرجع ماكس فيبر هذا السبب إلى العامل الديني(ماكس ف ،2015 ،ص 39)

ومساهمته في عملية العقلنة والتحديث التي انتهجتها هذه المجتمعات كما أنه يرجع الأصل الأول للعقلية الرأسمالية إلى الديانة البروتستانتية خاصة في بعض مبادئها المتمثل في عقلية التقشف ،إذ نجد ماكس فيبر يقول " لقد كانت هذه العقلنة لمنتهج العيش في الدنيا بالنظر إلى الآخرة هي المفهوم المتأتي عن مفهوم المهنة للبروتستانتية التقشفية ".(ماكس ف ،20ص13)

كما تصور فيبر أن "أن العقلانية المتنامية للمجتمع الحديث ستزيل من أذهان الناس جميع القيم غير النفعية كالحقيقة والخير والجمال والتسامي ويقصد فيبر بالعقلانية تطبيق الأدلة التكنولوجية على الحياة الشخصية والاجتماعية. " (غريغوري، ب ،2016،ص 146) .

عودة الدين إلى الفضاء العام ودحض التنبؤات القائلة بزواله:

مع تقادم الزمن استفحلت العلمانية على جميع مجالات الحياة داخل المجتمعات الغربية مستفيدة من أثار الحداثة العلمية والتكنولوجية ،ولكن ما هي إلا لحظة من الزمن حتى أبانت الحداثة الفائضة عن فضائحها نتيجة الثقة العمياء في العقل الذي حمل مهمة تحرير الإنسان من سحر المقدس وإن كان قد نجح في بعض المراحل إلا أنه أوقع الإنسان مرة أخرى في سحر العلمنة الصماء ،هذا السحر الذي عاد بالحداثة إلى سؤال تافه كانت قد طوته منذ زمان ثورتها على الكنيسة ظنا منها أن زمن الدين قد ولى ولا صوت يعلو فوق العلمانية إلا أن عثرات عقلها المتجبر أعاد ذلك الاحتراب بين الديني والعلماني إلى الواجهة وهذا يفسر لنا بأن الأقاويل التي قيلت حول زوال الدين أصبحت من الماضي ولم يعد لها من الإعراب محل وهذا حال لسان عالم الاجتماع الأمريكي بيتر بيرغر (peter berger)الذي كان مدافعا عن العلمنة ،اعترف بأنه كان مخطئا عندما لم يعترف بأن العالم مازال شديد التدين كما كان في السابق (محمود،ح،2017،ص 09) ،وقال أيضا "اعتقد أن ما كتبته أنا وغيري من علماء الاجتماع الديني في ستينيات القرن العشرين كان

خطأ ،فقد كانت حجتنا الأساسية هي أن العلمنة والحداثة يأتيان يدا بيد :مع المزيد من التحديث يأتي المزيد من العلمنة.

لم تكن هذه نظرية مجنونة فقد كانت بعض الأدلة التي تشير إلى صحتها ،لكني أعتقد أنها كانت في أساسها خاطئة إذ أن أغلب العالم اليوم هو بكل تأكيد ليس علمانيا ،بل هو متدين للغاية وبعد ثلاثة قرون تقريبا من التنبؤات الخاطئة أعتقد أن الأوان قد حان كي نحمل عقيدة العلمنة إلى عقيدة الأفكار الخاطئة ونهمس هناك فلترقدي بسلام".(رودني ،س 2017،ص 71) ،والمفكر خوزيه كازانوفا كان قد وصف إحياء الحياة الدينية بأنه تعميم للدين وعدم خصصته حيث يعتبر التقاليد والطقوس الدينية المتعارف عليها في شتى أرجاء العالم لا تسمح لأحد بأن يهمشها ولا يضيق نطاقها. (الهلالي، ع ،2018،ص 78) ،هذه الإدعات المفندة لزوال الدين أعادت إلى الواجهة ذلك التصادم الذين كان مع نهاية القرون الوسطى بين الكنيسة والحداثة وانتهى إلى انتصار الأخير ولكن عيوب المنتصر (الحداثة) أعادت المهزوم من جديد ليعود الصراع من جديد بين من اتخذ من فكرة نزع السحر عن العالم منطلقا له وبين من قرر العودة ولعب دور في المجال العام منطلقا من فكرة نزع العلمنة عن العالم ،هذه الفكرة جاءت نتيجة النتائج السلبية الناتجة عن تغوّل العلمانية مما جعل الصراع بين العلماني والدين الذي عاد من أجل أخذ مكانه في الحياة العامة بمختلف مجالاتها.

رجوع الديني هو بلا ريب عنوان إشكالي سيكون له أثاره البينة على المفاهيم والأفكار والقيم التي تجتاح المجتمعات الغربية اليوم ومن بين ما ينبري إلى تداوله جمع من الفلاسفة ومفكري الغرب سعيا للحصول على منظور معرفي ينهي الاختصام المديد بين الدين والعلمنة ،ومصطلح ما بعد العلمانية هو أحد السبل المقترحة لفك شفرة الاحتدام بين الديني والعلماني ويعود نحت هذا المصطلح إلى الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس كمحاولة منه لحل أزمة الصراع بين العلمانية والدين ،وهو الذي كان في وقت سابق مدافعا عن الحداثة والعلمانية ومحاولة تصويب معاثرها من خلال فكرته "الحداثة مشروع لم يكتمل "وقد حاول إكمال المشروع الحداثي من خلال عمله نظرية الفعل التواصلي ولكن بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 التي كانت بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس والتي انفجر من خلالها الصراع الديني العلماني، جعلته يتساءل عن مصطلح الفعل التواصلي الذي طورته في نظريتي هو في طريقه إلى أن يفقد اعتباره كليا ،في ضوء هذا الحدث إننا نعيش ،نحن في الغرب في مجتمعات سالمة ومرفهة ،ومع ذلك فهي تحتوي على عنف بنيوي اعتدنا عليه إلى حد ما."(جيوفانا،ب ،2013،ص 78-79) ذلك الصراع جعله يتعرف كذلك "بالعودة القوية للدين في الآونة الأخيرة ،ويستند بذلك على الولايات المتحدة الأمريكية ،فرغم أنها ترتب في قمة دول التحديث والعلمانية ،إلا أننا نلاحظ دورا متزايدا ومتناميا لدور الدين في الحياة

الاجتماعية والسياسية لدرجة صعود مرشحين سياسيين لدرجة تعاطفهم أو انتمائهم لكنسية معينة وسقوط آخرين بسبب إهمالهم لدور الدين"(المحمداوي، وآخ ،2013،ص 272).

المسألة الدينية عند هابرماس : بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 الذي استهدف برجي التجارة العالمية بنيويورك تحول اهتمام هابرماس بالمسألة الدينية في الغرب محاولا إظهار ذلك الإشكال الملح والمعاصر لوضعية الدين في المجتمعات المعاصرة ،وما يستوجبه ذلك الحضور والوضع من تأويلات لمقابلاته مع السياسة والثقافة والحالة الاجتماعية ولأجل ذلك عمد إلى أن يجعل من خطاب الحداثة إطارا يضمن محتوى كل من الدين والعلم .ويبدأ هابرماس بتصدير تصوراته عن وضع الدين فيقرر وجود حالة الأصولية والتحجرية (التي يمكن وسمها بالأرثوذكسية)،وكما هو الحال في الشرق ،في الغرب فاليهود والمسيح والمسلمون يعانون من المتطرفين ولذلك علينا أن لا نركن لفهومهم لأنهم يقودون إلى حرب حضارات ،هذه الحرب التي أصبحت لغتها الصواريخ الحرب العنفية التي نتجت عنها كبريات الصدمات اليوم وفي ذلك كله ،لا يمكن أن نقول :إن العقل يستطيع أن يقدم حيلا وحلولا لتفسير وتغيير هذه السلوكيات ،بينما يمكننا أن نعول على التفكير في الأمر(المحمداوي ،وآخ،2013،ص244). وبما أن هابرماس كان في كتاباته المبكرة لم يولي أية اهتمام للمسألة الدينية وذلك بحكم علمانيته التي كان مدافعا عنها ولكن يعود في آخر حياته ليصرح أن النظرية الاجتماعية المقدمة في على ضوء نظرية الفعل التواصلي تتناغم إلى حد كبير مع العلمانية التي لم يفندها بشكل صريح ،بل ذهب إلى القول بوجود مزاعم واهية أسفرت على التشكيك فيها(آرمان ،ز ،2017،ص 173). وبناءا كذلك على مقولة ماكس هوركهايمر "أن جهود الإنسانية في سبيل الحفاظ على معنى المطلق من دون الله ستذهب سدى وأن الأعمال العظيمة سوف تخسر معناها حتى لو كانت من قبيل السعي في سبيل الحفاظ على حياة الإنسان وأن موت الله يعادل موت الحقيقة".

(Horkheimer،2005،221) ، وبناءا على هذه المقولة اهتدى يورغن هابرماس إلى محاولة إقامة أرضية تفاهم بين التيارات المؤمنة والتيارات العلمانية ،إذ مع عودة الدين إلى الفضاء العام أصبح من الضروري التفاهم مع العلمانيين وعدم استغلال الدين لأغراض إيديولوجية حيث يقول هابرماس " أنه ليس من شأن الليبرالية ولا يتناسب مع أهدافها محاولة خنق أصوات المتدينين ما دامت الجماعات المتدينة تؤدي دورا إيجابيا في المجتمع المدني " (Habermas ،2013،371)

وما هذا في الحقيقة إلا اعتراف من هابرماس بعدم القدرة على تجاهل دور الدين وإقصاءه وهذا بسبب اختلافه عنا ويقصد هنا العلمانية وهنا اتجه إلى الحوار بين العلماني والديني الذي يمثل لنا الآخر وبالتالي فتح المجال أمام التعدد الثقافي والتعايش السليم وهذا عبر قناة التواصل غير

المشوه ،وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أهم محطات يورغن هابرماس والتي عبرت عن انعطافه نحوى الاهتمام بالمسألة الدينية ويمكن حصرها في التالي :

ينشر هابرماس عام 1961 مقالة بعنوان "المثالية الألمانية الدين وأعلامها اليهود"، والتي اكتفى فيها بعرض توثيقي للعلاقة بين الفلسفة والدين وتأثير أحدهما على الآخر دون ذكر أي موقف من الدين.

في عام 1988 ينشر هابرماس مقال بعنوان "الاستعلاء من الداخل، الاستعلاء في العالم " في هذه المقالة يحمل تحذيرات هلموت بوكرت ويرد على انتقاد موجه إليه ويعترف بالتسرع في المواقف التي اتخذت من الدين.

في عام 1991 ينشر هابرماس مقالة للدفاع عن ما كتبه ألفريد اشميدت حول هوركهايمر بعنوان،"السعي للنجاة بدون التسليم سعي بلا طائل: تأملات في مقولة ماكس هوركهايمر. (غفاري، بهرام ،2017،ص88)

في عام 1992 في كتابه " الفكر ما بعد الميتافيزيقي: مقالات فلسفية" يعالج هابرماس عددا من المباحث ذات التوجه الديني والتي استنتج فيها هابرماس عدم قدرة الأوربيين على إدراك مثل الأخلاق ، والحياة الأخلاقية والفردية ، والحرية والخلاص دون جوهر الدين.

وفي سنة 2001 وهي بداية الاهتمام الواضح للدين يلقي محاضرة عقب تسلمه جائزة السلام بعنوان "الإيمان والعلم" والتي تم طبعها في كتاب بعنوان "مستقبل الطبيعة البشرية .(غفاري ، بهرام 2017،ص 88).

في 2002 زار إيران أين ألقى محاضرة في لقائه من أعضاء جمعية علماء الاجتماع وعدد من أساتذة الفلسفة والتي تحدث فيها عن التحول الديني، وفي نفس السنة نشر هابرماس مجموعة من المقالات تعالج قضايا ترتبط بالدين والعلاقة بينه وبين العقل، في كتاب بعنوان "الدين والعقلانية،: مقالات حول العقل والله والحداثة."

سنة 2003 ينشر كتابا بعنوان الفلسفة في زمن الإرهاب وهو مجموعة من المقالات إحداها حوار أجراه مع بورادوري حول الأصولية والإرهاب.

مطلع سنة2004 جرى حوار بين هابرماس والكاردينال جوزيف راتسنغر في مدينة ميونيخ وقد كان هذا الحوار أبرز منعطفات الحوار بين الدين والعلمانية وكان فحوى الحديث عن كيفية تحسين الكرامة الإنسانية ،حينها اعترف هابرماس باستعداد الفلسفة التعلم من الدين مادام العقل لم يستطيع القضاء على الوحي ،في حين ذهب البابا إلى ضرورة تحصين الحضارة الغربية عبر خمس ركائز وتتمثل في تعاون العقل مع الإيمان فكرة الحق الطبيعي كحق عقلي إرساء التعدد

الثقافي كفضاء لارتباط العقل والإيمان مواجهة التحديات الجديدة التي تواجه الإنسان .(هابرماس ،راتسينغر ، ،2013،ص 32)

الأحداث السابقة الذكر حول هابرماس واهتمامه بمسألة الدين قد عبرت عن موقفه الإيجابي منه، حيث أكد أن الإطار الذي يرسمه الدين للحياة أفضل من الذي ترسمه نظرية الفعل التواصلي، ومن جهة ثانية كانت هذه الأحداث بمثابة الحافز له على تكثيف البحث والتحليل عن دور الدين في الفضاء العمومي.

أحداث 11 سبتمبر وهاجس الحوار الديني العلماني :

مما لا شك فيه أن الهجوم الذي استهدف برجي التجارة العالمية بنيويورك كان الحادث العالمي الأبرز في تلك الفترة والذي صعد من شدة بؤر التوتر بين الخطاب الديني والعلماني وقد ارتبط هذا التوتر بقضايا مثل التطرف والإرهاب والأصولية وفيما يلي سنعرض لموقف هابرماس من هذه الأحداث كونه من الفلاسفة ممثلي العقلانية الذين عايشوا الحدث وصرح يورغن قائلا: "كان الحادي عشر من أيلول، حيث كان انفجار التوتر بين المجتمع العلماني والدين، انفجارا من طبيعة مختلفة." (يورغن هابرماس، 2006، ص23)، وفي السياق نفسه يقول أيضا: " إن القتلة الذين صمموا هذا الانتحار، الذين حولوا أدوات النقل إلى قذائف مسكونة يصار لإطلاقها على قلاع الحضارة الغربية الرأسمالية، هؤلاء القتلة كانوا مدفوعين بقناعات دينية تجسد بالنسبة إليهم شعارات المجتمع الحديث المعولم الشيطان الأكبر"(هابرماس، ي ،2006، ص123). واستغرب هابرماس من ردة جورج بوش الأصغر وذلك على خلفية خطاب طرح من خلاله عدة تساؤلات وتطلب عدة استفسارات مفاده " لتكن حربا صليبية" "كما أن هذا العدوان قد ضرب وترا دينيا في أكثر مواقع المجتمع العلماني حميمية ففي كل أرجاء العالم امتلأت الجوامع والمعابد والكنائس "(هابرماس ، ي ،2006،ص125) ، وبالتالي هل من المعقول أن تكون الحرب على الإرهاب –مواجهة العنف بالعنف السبيل الأمثل لاجتثاثه؟ وقد رد هابرماس على جيوفانا بورادوري قائلا:" مع أن مصطلح الحرب هو أقل تضليلا ،وأقل من الحرب الصليبية إثارة للجدل أخلاقيا ،فإنني أعتبر قرار جورج بوش بالدعوة إلى حرب على الإرهاب خطأ جديا على المستويين المعياري والبرغماتي، فعلى الصعيد المعياري ،يكون قد رفع من شأن هؤلاء المجرمين إلى مصاف الأعداء في الحرب ،وعلى الصعيد البراغماتي ،لا نستطيع ن نقود حربا إذا كان مصطلح حرب لا يزال يحتفظ بمعنى معين على شبكة ليس لها مكان محدد."(جيوفانا،ب ،2013،ص 87) ومن موقفه حول هذه الأحداث التي حركتها اعتبارات دينية استخلص هابرماس إلى وجوب احتضان الدين وعدم إقصائه لمجرد اختلافه عنا وهنا يفتح هابرماس فكرة التعدد والتنوع الثقافي بين المجتمعات ،و في ظل هذا التعدد يصبح المجال العام الذي تجرى فيه النقاشات غير محتكر لأي تراث بل يصبح موضوعا للوحدة

المسالمة التي ينوجد في داخلها الصراعات الساخنة والآراء المتنافسة والاختلافات التي لا تحل(نيكولاس ،آ، 2016،ص08)ولحل مسألة الاحتراب بين الديني والعلماني واحتوائهما في رحاب التعايش السلمي يقترح يورغن هابرماس طريقا لتحقيق هذا التعايش بين الفهم الديني والعلماني ويتمثل هذا المقترح في مجتمع ما بعد العلمانية كسبيل يتيح إمكانية التحاور بين المقدس والعقل وهذا المقترح هو ما نصفه في التالي.

ما بعد العلمانية طريق التعايش الديـن والعلمانية :

قبل البدء في توصيف حالة التعايش بين الدين والعلمانية لا بد في بداية الوصف الإشارة على مفهوم ما بعد العلمانية كونه يدخل ضمن حقل البعديات التي نسختها إفرازات الحداثة الغربية ،داخل مجتمعاتها كما هو الحال لما بعد الحداثة ،التي ظهرت على أعتاب الحداثة ،وحتمت الضرورة أن تكون العلمانية المنطلقة من مقولتها الفيبرية " إزالة السحر عن العلمنة " هذه المقولة ونتيجة لغرورها بمنجزات العلم الذي أوقع المجتمعات الغربية في دوامة الفراغ الروحي صنعت بذلك حدا لنهايتها إلى بعدها كمحاولة لترتيب معاثرها وهنا جاءت مقولة ما بعد العلمانية منطلقة من مقولة معاكسة تعود لصاحبها بيتر بيرغر" إزالة العلمنة عن العالم والتي تدل على عودة الدين ليحتل مكانه في الغرب على حساب العلمانية ،وما نعنيه هنا ليس نفي العلمانية بل استئنافا لها بوسائط وشرائط وأنساق مختلفة فلا يجب أن ينسلخ التاريخ عما قبله وما بعده فلولا الحداثة لما وصلنا لما بعدها ،ولولا العلمانية لما وصلنا لما بعدها كتعبير عن حالة تاريخية جديدة وهكذا غدت ما بعد العلمانية كحدث حديث الولادة داخل المجتمع الثقافي الغربي ،وقد أحدث ظهوره فتنة حادة بين المشتغلين على دلالته ويمكن حصر بعض دلالاته على النحو التالي :

ما بعد العلمانية تعني وصول العلمانية إلى نهايتها أو اقترابها من حتفها على أقل تقدير ومن خلال تنظيرات بعض علماء الاجتماع في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية فإن مصطلح ما بعد العلمانية هو بمثابة تواصل بين طورين تاريخين للعلمانية طور بلغ ذروته وختم ،وطور يتهيأ للبدء فالختم هنا يدل أن نهاية حقبة العلمنة التي وصلت لنهايتها وأدت ما لها وما عليها وعلى أن تجدد شعاراتها لتتكيف من الزمن الجديد ،وأما البدء فيدل على ،وأما البدء فيدل على حركة نشطة من المراجعات والنقد التي سادت الوسط الفكري العلماني ،ودعت إلى رؤية جديدة تتجاوز التناقض بين الشأن الديني والعلماني(محمود ،ح 2019،ص17) .

يبدو أن غرابة المصطلح وحداثته يجعل له عدة تأويلات ولكن تعريف بيتر بيرغر يقربنا نوعا ما إلى دلالة المصطلح الذي يعني له ،"حالة وعي تتعايش فيه الرؤى الكونية للدين مع الرؤى العلمانية للكون ورأى أن تعايش الرؤى الكونية الدينية والعلمانية ،والتطلعات الدينية والعلمانية في

المجتمع والسياسة وصيغ فهم الديني والعلماني وحاصل ما توصل بيرغر هي أن السمة المميزة لمجتمع ما بعد العلمانية هي في توتر مستمر"(محمود ،ح 2019،ص17) .

وفي تعليقها على أطروحة بيرغر تعلق الباحثة النمساوية في علم الاجتماع الدين "كريستينا شتوكل " لتحدد بذلك تعريفا لمصطلح ما بعد العلمانية على وجهين :

الأول وهو " ما بعد العلماني " ويعني إزالة العلمانية **(de secularisaion)** أنه ما يلي العلمنة وينقلب عليها وبمعنى أبعد أن تغيرا في النظام يعيد الدين إلى المجتمع ،أما الثاني فيعني أن ما بعد العلماني هو شرط للعصرنة والتعايش بين الديني والعلماني(محمود ،ح ،2019،ص20).

ليس مسعانا هو إزالة اللبس عن مصطلح ما بعد العلمانية مادام الاتفاق عليه بأنه حالة وعي جديد جاءت لتصويب اختراقات العلمانية وطمسها للدين فجاءت الما بعد لتعيد الاعتبار المفقود لدور الدين وهو ما يؤكده لنا صاحب المقترح شخصيا يورغن هابرماس منطلقا من التساؤل التالي القال " كيف يمكن أن يستمر حتى يومنا الحاضر إزالة ما هو عقلاني في علم اللاهوت ،ومحتوياته الجوهرية في ضوء التمحيص النقدي الذي لا يقبل النقض للميتافيزيقا دون تدمير المبادئ الدينية أو العقل نفسه؟"(المحمداوي،ع ،357،2015) ومعنى هذا حسب هابرماس شبيه بمحاولة مارتن هيدغر لتجاوز الميتافيزيقا ليجد نفسه مقرا لها والحال هنا نفسه أي رغم مناهجنا النقدية الحديثة لا نستطيع أن نقيل ما هو ميتافيزيقي عن المجتمعات الغربية ،وفي هذا السياق بات الجلي أكثر وضوحا فهابرماس من خلال تساؤله يتجه بنا إلى الحديث عن هذه المتغيرات الآتي ذكرها الحداثة ،الدين والعلمانية ،والمعتقد والإيمان ،وهنا جاءت محاولة هابرماس لتؤكد تقارب تلك التعريفات حول مصطلح الما بعد علمانية ومن جهة أخرى تحاول الحد بين بؤر التوتر بين الديني والعلماني ويتجلى هذا في ذلك اللقاء الحميمي الذي جمع يورغن هابرماس باعتباره أحد أعمدة العقل في الغرب بالبابا جوزيف راتسينغر الذي سيصبح البابا بينوا السادس عشر لمحاولة الهدنة بين الديني والعلماني وقد كان الحوار في مدينة ميونيخ وكان فحواه حول الأسس الفكرية لمجتمع يحصن الكرامة الإنسانية في زمن اخترقت فيه الحداثة الصرح القيمي للإنسان وكان هابرماس هو البادئ مستهلا كلامه "باستعداد الفلسفة فليهتم الفيلسوف بالإيمان عوض الدخول معه في حرب ويؤكد هابرماس بأن الفلسفة واعية بما فيه الكفاية بتعرضها للخطأ وبوضعها غير القار في المجتمع الحديث."(هابرماس ، راتسنغر 2013،ص 32) وبعدها أصر على ضرورة تولي الدولة المشرعة للقوانين كل الثقافات والتمثلات الدينية عنايتها والاعتراف لها بفضاء خاص في إطار مقترحه "مجتمع ما بعد العلمانية " ،أما راتسينغر فقد تضمن عرضه لتحصين الكرامة الإنسانية على وفق خمسة أسس وهي كالتالي :

النداء إلى الالتقاء والتعاون بين العقل والدين ،وهذا لمواجهة التحديات الجديدة التي تواجه الإنسان وإضافة إلى ذلك ركز البابا راتسينغر على ضرورة صون فكرة الحق الطبيعي كحق عقلي والتأكيد على ضرورة التعدد الثقافي كنقطة التقاء بين الدين والعقل يبدوا من خلال العرض المحتشم للحوار بين هابرماس والبابا راتسينغر أن هناك إجماع بينهما على مقترح السيد هابرماس "مجتمع ما بعد العلمانية " كفضاء للتفاهم ودحض الصراع بين الديني والعلماني ،وقد كانت التغيرات العالمية الحاصلة في الآونة الأخيرة حول الفرضية القائلة باضمحلال دور الدين داخل الفضاء العام ،إضافة إلى ظاهرة التطرف والأصولية المتحجرة وظاهرة الإرهاب العالمي التي شوهت التواصل العالمي بين الشعوب خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 التي زادت الصراع أكثر انفعالا علاوة على ذلك الطفرة التقنية والهيمنة العلمانية التي اخترقت الصرح القيمي للإنسان هي من دفعت بهم إلى الدعوة إلى التفكير في سبل التعايش بين الدين والعلمانية داخل الفضاء العمومي ،وهذا ما صرح به هابرماس في كتاباته الأخيرة بعد الصحوة غير المتوقعة للدين قائلا: "لابد من الإقرار بأهمية الدين في إثراء النقاشات في المجال العام".(هابرماس ،ي ،2013،ص14).

قراءة نقدية :من خلال ما سبق وإيمانا بمسلمة النقد التي تمارسها سلطة التفلسف على الأفكار والقضايا غير مرغوب فيها يحق لنا هنا كباحثين أن نبدي وجهة نظرنا حول المقترح الذي يبدو فيما ينبغي صحيحا ونحن بحاجة إليه في مجتمعاتنا العربية الإسلامية خاصة والصراع بين الدين والعقل ليس جديدا على الفكر العربي الإسلامي

نحتاج مقترح هابرماس للخروج من أزمة التمسك المطلق بالتراث والثقة العمياء في الوافد الغربي ،أما من الناحية التطبيقية فمقترح ما بعد العلمانية الذي يستلزم فتح باب التحاور والتعدد الثقافي بين الدين والعلمانية يبقى عسيرا وهذا نظرا للإيديولوجيات التي يمتلكها كل من الطرفين بحيث هل توجد إمكانية من الطرف العلماني لإجراء حوار صادق مع الطرف الديني في الوقت الحالي على الرغم من أجيال عديدة مرت على إقصاء الدين هل يقتنع العلمانيون بأن الكثير من قيمهم تعود في منشأها إلى الدين ،وما يعاب على مقترح هابرماس أيضا أن المجتمع ما بعد العلماني تم حصره فقط على المجتمعات الأوروبية والتغاضي عن الدين الإسلامي رغم أن السمة المميزة للمقترح هي التعددية الثقافية والانفتاح على مختلف الديانات والثقافات.

خاتمة: وفي نهاية عرضنا لمسألة الحوار العلماني الديني والتي كانت أحداث برجي التجارة العالمية بنيويورك البؤرة التي عززت من شدة الاحتراب على أساس أن منفذي ذلك الانفجار قد دفعتهم قناعاتهم الدينية وهذا ضد التسلط والإقصاء العلماني للدين من النقاشات داخل الفضاء العام وهنا وجد هابرماس العلماني الذي دافع بشراسة في كتاباته المبكرة عن مبادئها دون أن يعطي أدنى اهتمام للمسألة الدينية ولكن تسلطها في المجتمعات الغربية المعاصرة جعلته يعيد النظر في

العلاقة بينها وبين الدين خاصة في كتاباته المتأخرة وذلك لإعادة بعث الحوار بين الفهم الديني والعلماني وإرساء سمة التسامح والتعدد الثقافي بينهما وتجلى ذلك في ابتداعه نظرية "مجتمع ما بعد العلمانية "ويكون هذا وفق أسس أخلاقيات الحوار والمناقشة العقلانية والتي يلتزم فيها كل طرف مشارك في الحوار احترام مبادئ وقناعات الطرف الآخر والتأسيس بذلك لما يسمى بالتعايش السلمي بين الأديان والثقافات وفق العقلانية التواصلية وبالتالي نبذ كل أشكال العنف والتمييز العرقي والديني ،وتحقيق سياسة الانفتاح وتحقيق مشروع الكونية وهو مشروع تعود فكرته الأولى لكانط (مشروع السلام الدائم) وعلى الرغم من العيوب التي شوهت هذا المشروع لأنه في ظل الصراعات العالمية الراهنة فإن الشروط استراتيجيات تحقيق التعايش بين الشعوب صعبة التحقيق في الراهن ولكن مع ذلك يبقى هذا الابتداع الهابرماسي مقترحا يحتاج نظرة ثاقبة في أسسه وخلفياته بغية تطويره في المستقبل .

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر ، والمراجع بالعربية :

4- يورغن هابرماس ،2006، مستقبل الطبيعة البشرية، بيروت ، لبنان ، المكتبة الشرقية .

2- يورغن هابرماس وآخ ، قوة الدين في المجال لعام ،2013،بيروت ،لبنان ، دار التنوير للطباعة والنشر .

3- هابرماس ، ي . و ر ، جدلية الدين والعلمنة،2013 ، بيروت ،لبنان ،جداول للنشر والترجمة والتوزيع .

4- جيوفانا بورادوري، 2013، الفلسفة في زمن الإرهاب، حوارات مع يورغن هابرماس وجاك الدوحة، قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

المراجع :

1 - أنتوني غيدنز، علم الاجتماع ،بيروت ،لبنان ، المنظمة العربية للترجمة. ط4.

2 - بشارة عزمي ،2013، الدين والعلمانية في سياق تاريخي ج1، الدوحة، قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

3- دنيال، ه ،2005، سوسيولوجيا الدين ،القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر .

4 - حيدر ، م ،ما بعد العلمانية، مقاربة تحليلية نقدية لمنشأ المفهوم ومآلاته 2019 ، بيروت لبنان ،دار مخطوطات العتبة العباسية المركز الإسلامي للبحوث الإستراتيجية ، ماكس ف

5- ماكس، ف ،2015 ، مقالات في سوسيولوجيا الدين الثقافة البروتستانتية ، بيروت، لبنان المنظمة العربية للترجمة .

6 - ملاح ،أ ،2006،المختصر في تاريخ الفلسفة الغربية من طاليس إلى باشلار ، الجزائر العاصمة ،الجزائر رياض العلوم للنشر والتوزيع.

7 - المحمداوي ،ع،2015..الإشكالية السياسية للحداثة من (فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل)، بغداد ،العراق ، دار ومكتبة عدنان.

8 - المحمداوي، وآخ2013 ،يورغن هابرماس (العقلانية التواصلية في ظل الرهان الإيتيقي في نقد العلموي والديني والسياسي،وهران ،الجزائر،ابن النديم للنشر والتوزيع.

9 - المسيري، ع، العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة، المجلد الأول، القاهرة، مصر، دار الشروق .

10 - نيكولاس، آ ،2016، هابرماس واللاهوت بيروت، لبنان، جداول للنشر والترجمة والتوزيع.

11 - القرضاوي ،ي ،2007،الدين والسياسة تأصيل ورد شبهات دبلن ،إصدارات المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث وهيئة آل مكتوم الخيرية ،.

12 - روبرت، س ،2009، الدين من منظور فلسفي،بيروت ،لبنان ،العارف للمطبوعات

ثالثا : المجلات

1- آرمان، ز، صيف 2017، ما بعد العلمانية في فكر يورغن هابرماس، مجلة الاستغراب، ع 8 بيروت، لبنان، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية.

2- حيدر، م صيف 2017، ما بعد العلمانية، منطق الحدث وفتنة المفهوم، مجلة الاستغراب، ع 8، بيروت ،لبنان ،المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية.

3- الهلالي عزيز ،2018، عودة الدين إلى الفضاء العمومي في مساءلة المشروع العلماني، الرباط المغرب، مجلة الباب لدراسة الدين والسياسة والأخلاق، ع2 .

4- ستارك، ر، صيف 2017، فلترقدي بسلام أيتها العلمنة، مجلة الاستغراب، ع 8، بيروت لبنان المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.

5- عبد الرحمن، ك ، شتاء 2016،العلمانية ماهيتها تعريفها مقاصدها ،مجلة الاستغراب ،ع 2 بيروت ،لبنان ،المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية .

6 - غفاري، ح. بهرام، م، دور الدين في الفضاء العمومي، دراسة في رؤية هابرماس الفلسفية، مجلة الاستغراب ع8، بيروت، لبنان، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.

7- غريغوري، ب ربيع 2016، مطارحات إيميل دوركايم، وماكس فيبر، مجلة الاستغراب، ع 3 المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، لبنان السنة 2

المصادروالمراجع باللغة الأجنبية:

1- Habermas Jürgen2013, critic's , in Habermas and Religion : edited by craig clhoun Eduardo mendieta and, jonathan vanantwerpen, Cambridge :polity press ,.

2- Horkheimer، Max),2005 'Theism and Atheism, In The Frankfurt School on

Religion: Key Writings by the Major Thinkers، Edited by Eduardo Mendieta، New York and London: Routledge.